

الجنس كقوله تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾⁽¹⁾ ﴿اليوم تجزون﴾ محمول على القول.

هَذَا كَيْبُنًا يُطِيقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾

فإن قلنت: كيف أضيف الكتاب إليهم وإلى الله عز وجل؟ قلت: الإضافة تكون للملابسة وقد لا بسهم ولا بسه أما ملابسته إياهم فلأن أعمالهم مثبتة فيه، وأما ملابسته إياه فلأنه مالكة والأمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده ﴿ينطق عليكم﴾ يشهد عليكم بما عملتم ﴿بالحق﴾ من غير زيادة ولا نقصان ﴿إنا كنا نستنسخ﴾ الملائكة ﴿ما كنتم تعملون﴾ أي نستكتبهم أعمالكم.

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَةٍ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٢﴾

﴿في رحمته﴾ في جنته. وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَمَا زُرْنَا وَلَٰكِنَّا نَكُونُ لَكُمْ عِلْمًا فَاصْتَكُزْتُمْ أَفَكُم قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾

وجواب أما محذوف تقديره: وأما الذين كفروا فيقال لهم ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾، والمعنى: ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه.

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا تَأْتِي بَشَرًا مِّن دُونِهَا مَا تُغَايِبُ عَنْ نَّظَرِ الْإِنسَانِ إِلَّا ظَنًّا وَمَا عَشْرُ بِسْمِئَاتٍ يَمُدُّهُنَّ مِن دُونِهَا ﴿٣٤﴾

وقرى: ﴿والساعة﴾ بالنصب عطفًا على الوعد وبالرفع عطفًا على محل إن وأسمها ﴿ما الساعة﴾ أي شيء الساعة.

فإن قلت: ما معنى إن نظن إلا ظنًا؟ قلت: أصله نظن ظنًا ومعناه إثبات الظن فحسب فابخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدًا بقوله: ﴿وما نحن بمستيقنين﴾.

وَمَا كُنَّا بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٥﴾

﴿سينات ما عملوا﴾ أي قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السينات كقوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾⁽²⁾.

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَسْتَكْفُرُ بِمَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن دُونِ هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَكُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٦﴾

﴿ننساكم﴾ نترككم في العذاب كما تركتم عدّه ﴿لقاء

يومكم هذا﴾ وهي الطاعة أو جعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالي به كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيًا منسيًا.

فإن قلت: ما معنى إضافة اللقاء إلى اليوم؟ قلت: بمعنى إضافة المكر في قوله تعالى: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾⁽³⁾ أي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه.

ذَٰلِكُمْ بِأَنكُم مِّن دُونِ اللَّهِ تَكْفُرُونَ ﴿٣٧﴾

وقرى: لا يخرجون بفتح الباء ﴿ولا هم يستعجبون﴾ ولا يطلب منهم أن يعتدوا بهم أي يرضوه.

فَلِلَّهِ الْمُلْكُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّطَوَّيًّا وَسُيُوفٍ مُّكَرَّمَةٍ مِّمَّاتٍ فِيهَا جَذَبٌ عَظِيمٌ ﴿٣٨﴾

﴿فله الحمد﴾ فاحمدوا الله الذي هو ربكم، ورب كل شيء من السموات والأرض والعالمين فإن مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مريبوب وكبروه.

وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٩﴾

فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته ﴿في السموات والأرض﴾ وحق مثله أن يتكبر ويعظم عن رسول الله ﷺ: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب»⁽⁴⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحقاف مكية

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَزِيلُ الْكَذِبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾

﴿إلا بالحق﴾ إلا خلقًا ملتبسًا بالحكمة والغرض الصحيح ﴿و﴾ بتقدير ﴿أجل مسمى﴾ ينتهي إليه وهو يوم القيامة ﴿والذين كفروا عما أنذروا﴾ من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه إليه ﴿معرضون﴾ لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له، ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن إنذارهم ذلك اليوم.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَدْعُونَ إِلَهُاتِكُمْ إِنَّمَا هِيَ كُفْرٌ وَإِنَّمَا تَكْفُرُ بِلِقَاءِ رَبِّكَ إِنَّ كُفْرَكُمْ سُلُوكٌ مِّن دُونِ سُبُلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ سُبُلَ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأَنتُمْ كَافِرُونَ ﴿٤﴾

(4) نكحه الشعبي، ونكحه الواحدي وابن مريويه في التفسير، الزيلعي

(1) سورة الكهف، الآية: 49.

(2) سورة الشورى، الآية: 40.

(3) سورة سبا، الآية: 33.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمَذْهَبُ الَّذِي أَنْزَلْنَا فِيهِ الْقُرْآنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَمَنْ يَضِلَّ مِنْكُمْ فِي شَيْءٍ فَإِنَّ رَبَّهُ لَسَوَّءٌ عَاقِبًا ۚ ﴿٤٦﴾

التهمك بها وبعبدتها، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَاكُمْ وَلَا شَفَعُوا لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ﴾ (2).

وَإِذَا نُنزِلُ الْعَذَابَ نُنزِلُهُ رِيشًا يُبَدِّلُ قَالِ الْأَيْدِي كَفْرًا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا يَسْحَرُونَ بِهِ ﴿٧﴾

﴿بينات﴾ جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبيّنات. واللام في ﴿للحق﴾ مثلها في قوله: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا﴾ (3) أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا (4) والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق ﴿لما جاءهم﴾ أي بادوه بالجحود ساعة اتاهم وأول ما سمعوه من غير إجماله فكر ولا إعادة نظر، ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحرا مبيّنا ظاهرا أمره في البطلان لا شبهة فيه.

أَمْ يَتَّبِعُونَ الْأَقْيَانُ لِقَوْلِ إِنْ فَقَرْنَا فَسَاءَ مَا تَحْكُمُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعَلُونَ فِيهِ كُنْ بِهِ سَهِيًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَهُوَ الْعَفْوَ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

﴿أم يقولون افتراه﴾ إضراب عن نكر تسميتهم الآيات سحرا إلى نكر قولهم إن محمداً افتراه، ومعنى الهمزة في أم الإنكار والتعجب كأنه قيل: دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك أن محمداً كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتره على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة وإذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب، فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات ﴿قل إن افتريته﴾ على سبيل الفرض عاجلني الله تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرين على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون نفع شيء من عقابه عني فكيف أفتره وتعرض لعقابه يقال: فلان لا يملك إذا غضب، ولا يملك عنانه إذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله عليه السلام: لا أملك لكم من الله شيئا (5)

﴿يكتب من قبل هذا﴾ أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني أن هذا الكتاب ناطق بالتحديد وإبطال الشرك، وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك، فاتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله ﴿أو إثارة من علم﴾ أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين من قولهم سمت الناقة على إثارة من شحم أي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب، وقرئ: أثاره أي من شيء أوثرت به وخصصتم من علم لا إحاطة به لغيركم، وقرئ: أثاره بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون التاء فالإثارة بالكسر بمعنى: الأثرة وأما الأثرة فالهمزة من مصدر أثار الحديث إذا رواه، وأما الأثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به.

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَٰهٌ يَّوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَهُمْ عَنِ دَعْوَاهُمْ عُقُولٌ ﴿٩﴾

﴿ومن أضل﴾ معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالاً من عبدة الأصنام (1) حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جماداً لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة.

وَإِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَحُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا عَلَيْهِمْ عَدُوًّا فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم، وتجحد عبادتهم وإنما قيل من وهم لأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولي العلم من الاستجابة والغفلة، ولأنهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلاً وغباوة ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان فغلب غير الأوثان عليها، قرئ: ما لا يستجيب وقرئ: يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق

إِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَحُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا عَلَيْهِمْ عَدُوًّا فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم، وتجحد عبادتهم وإنما قيل من وهم لأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولي العلم من الاستجابة والغفلة، ولأنهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلاً وغباوة ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان فغلب غير الأوثان عليها، قرئ: ما لا يستجيب وقرئ: يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق

(1) قال أحمد: وفي قوله: إلى يوم القيامة نكتة حسنة، وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة، ومن شأن الغاية انتهاء المعنى عندها، لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية؛ لأنهم في القيامة أيضاً لا يستجيبون لهم، فالوجه والله أعلم أنها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها، وإن وافق ما قبلها، إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثاني، حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعاً واحداً لتفاوت ما بينهما كالشيء وضده، وذلك أن الحالة الأولى التي جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة، والحالة الثانية التي في القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة بالكفر بعبادتهم إياهم، فهو من وادي ما تقدم أنفاً في سورة الزخرف في قوله: ﴿هل تمتع هؤلاء وآبائهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإننا به كافرون﴾.

(2) سورة فاطر، الآية: 14.

(3) سورة الأحقاف، الآية: 11.

(4) قال أحمد: هذا الإضراب في بابيه مثل الغاية التي قدمت أنفاً في بابها، فإنه انتقال إلى موافق لكنه أزيد من الأول، فنزل بزيادته عليه مع ما تقدمه مما ينقص عنه منزلة المتناهيين كالنفي والإثبات الذين يضرب عن أحدهما للأخر، وذلك أن نسبتهم للآيات إلى أنها مقتريات أشد وأبعد من نسبتها إلى أنها سحر، فأضرب عن تلك الأول إلى نكر ما هو أغرب منه.

(5) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: من انتسب إلى أبائه في الجاهلية والإسلام (الحديث رقم: 3527)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: وأنذر عشيرتكم (الحديث رقم: 3481 - 204).

ثم قال: ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى، والطعن في آياته وتسميته سحرًا تارة وفرية أخرى ﴿كفى به شهيدًا بيني وبينكم﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى نكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم ﴿وهو للغفور الرحيم﴾ موعده بالغفران، والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وأمنوا وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا.

ثم قال: ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى، والطعن في آياته وتسميته سحرًا تارة وفرية أخرى ﴿كفى به شهيدًا بيني وبينكم﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى نكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم ﴿وهو للغفور الرحيم﴾ موعده بالغفران، والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وأمنوا وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا.

فإن قُلْتَ: فما معنى إسناد الفعل إليهم في قوله تعالى: ﴿فلا تملكون لي﴾ قُلْتُ: كان فيما أتاهم به النصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم⁽¹⁾، فكانه قال لهم: إن افتريته وأنا أريد بذلك التنصيح لكم وصلحكم عن عبادة الألهة إلى عبادة الله فما تغنون عني أيها المنصوحون إن أخذني الله بعقوبة الافتراء عليه، البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ: بدعًا بفتح الدال أي ذا بدع، ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب فقيل له:

قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا بَيْنَ الرُّسُلِ وَمَا آتَى مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ إِنْ أَنِجَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٦﴾

﴿قل ما كنت بدعًا من الرسل﴾ فأتيتكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات، فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما أتاهم الله من آياته ولا يخبرون إلا بما أوحى إليهم ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الأولى بقوله: ﴿علمها عند ربي﴾⁽²⁾ ﴿وما أدري﴾ لأنه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه ﴿إن تتبع إلا ما يوحى إلي﴾ وعن الحسن وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له

فإن قُلْتَ: إن يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قُلْتُ: أجل ولكن النفي في ما أدري لما كان مشتتمًا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن ألا ترى إلى قوله: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر﴾⁽⁴⁾ كيف دخلت الباء في حيز أن وذلك لتناول النفي إياها مع ما في حيزها⁽⁵⁾، وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وقرئ: يوحى أي الله عز وجل.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفْرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ قَالَمَنْ أَسْتَكَبِرْكَ إِنَّكَ لَا تَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾

جواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتهم به الاستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾⁽⁶⁾ والشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه هو النبي المنتظر وقال له: إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا: نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وبال ولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه الصلاة والسلام: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الولد فإذا سبق ماء

واقعة بكم لا أقدر على دفعها عنكم، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بري مما تجرمون﴾ وأمثاله كثيرة، والله أعلم.

- (2) سورة طه، الآية: 52.
- (3) سورة الفتح، الآية: 2.
- (4) سورة الاحقاف، الآية: 33.
- (5) قال احمد: بنى على أن المجرور معطوف على مثله، وإنما جميعاً في صلة موصول واحد، ولو قيل: إن المجرور الثاني من صلة موصول محذوف معطوف على مثله، حتى يكون التقدير وما أدري ما يفعل بي ولا ما يفعل بكم؟ لكانت لا واقعة بمكانة غير مفتقرة إلى تاويل، وحذف الموصوف المعطوف وتفصيله كثيرة، ومنه فمن يهجو رسول الله منكم ويمنحه وينصره سواء يريد حسان رضي الله عنه: أقمن يهجو رسول الله ﷺ، ومن يمنحه سواء.
- (6) سورة الانعام، الآية: 144.

(1) قال احمد: فيه نظر من قبيل أن الكلام جرى فرضاً وتقديراً، ومتى فرض الافتراء لا يتصور على تقديره نصح، فإن النصح عبارة عن الدعاء إلى ما فيه نفع، ولا ينفع المكلف في عمل ظاهر أو باطن، إلا أن يكون مأموراً به من الله تعالى، ولا سبيل إلى الاطلاع على ذلك إلا من الوحي الحق لا غير، فإذا لا يتصور نصح مع الافتراء، وإنما يتم هذا الذي قرره على قاعدة المعتزلة للقائلين بأن العقل طريق يوصل إلى معرفة حكم الله تعالى؛ لأنه إذا أمر بطاعة من الطاعات كالتوحيد مثلاً، وقال: إن الله حتم عليكم وجوب التوحيد، وأنا رسول الله إليكم، ولم يكن متعوقاً، فإنه محق في الأمر بالتوحيد؛ لأن العقل دل على وجوبه عندهم، وإن كان مفترياً في دعوى كونه رسلاً من الله عز وجل، وهذه قاعدة قد أفسدها الأدلة القاطعة، فيحتمل في إجراء الآية على مذهب أهل السنة أن يكون إسناد الفعل لهم على معنى التنبيه بالشيء على مقابله بطريق المفهوم، فالنعي إذا إن كنت مفترياً فالعقوبة واقعة بي لا تدفعونها عني، فمفهومه وإن كنت محقاً، وأنتم مفترون فالعقوبة =

نزول مثله وإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به
الستم أضل الناس وأظلمهم، وقد جعل الإيمان في قوله فأمن
مسبباً عن الشهادة على مثله لأنه لما علم أن مثله أنزل على
موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من
كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد علته واعترف كان
الإيمان نتيجة ذلك.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَّوْنَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ
يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّبُوا لَوْلَا أَنَّكَ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾.

﴿للذين آمنوا﴾ لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا: عامة
من يتبع محمد السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب،
وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء
وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم غفار قالت: بنو
عامر وغطفان وأسد، وأشجع لو كان خيراً ما سبقنا إليه
رعاء إليهم وقيل إن أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها
حتى يفتن، ثم يقول لو أني فترت لذنتك ضريراً وكان كفار
قريش يقولون لو كان ما يدعوك إليه محمد حقاً ما سبقتنا
إليه فلانة، وقيل: كان اليهود يقولونه عند إسلام عبد الله بن
سلام وأصحابه.

فإن قُلْتُ: لا بدّ من عامل في الظرف في قوله: ﴿وإذ لم
يهتدوا به﴾ ومن متعلق لقوله ﴿فسيقولون﴾ وغير
مستقيم أن يكون (8) فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع
دلالاتي المضى والاستقبال فما وجه هذا الكلام؟ قُلْتُ: العامل
في إذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما
ذهبوا به وقولهم حينئذٍ الآن وتقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر
عنادهم، فسيقولون هذا إفاك قديم فهذا المضمر صحّ به
الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله: فسيقولون مسبباً
عنه كما صحّ بإضمار أنّ قوله حتى يقول الرسول لمصادفة
حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم ﴿إفاك قديم﴾
كقولهم أساطير الأولين.

الرجل نزعته وإن سبق ماء المرأة نزعته». فقال أشهد أنك
رسول الله حقاً، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت
وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عنك،
فجاءت اليهود فقال لهم النبي ﷺ أي رجل عبد الله فيكم
فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن
أعلمنا قال: أرايتم إن أسلم عبد الله قالوا: أعاده الله من ذلك
فخرج إليهم عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أنّ محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه
قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله (1) وأحذر قال سعد بن
أبي وقاص ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي
على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام
وفيه نزل ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على
مثله﴾ (2) الضمير للقرآن أي على مثله في المعنى وهو ما
في التوراة من المعاني المطابقة في القرآن من التوحيد
والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وإنه
لفي زبر الأولين﴾ (3) ﴿إنّ هذا لفي الصحف الأولى﴾ (4)
كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك، ويجوز أن يكون
المعنى إن كان من عند الله وكفرتكم به وشهد شاهد على
نحو ذلك يعني كونه من عند الله.

فإن قُلْتُ: أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه
من جهة النظم (5) قُلْتُ: الواو الأولى عاطفة لكفرتكم على فعل
الشرط كما عطفته، ثم في قوله تعالى: ﴿قل أرايتم إن كان
من عند الله ثم كفرتكم به﴾ (6) وكذلك الواو الأخيرة عاطفة
لاستكبرتم على شهد شاهد، وأما الواو في وشهد شاهد فقد
عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله
فأمن واستكبرتم على جملة قوله: ﴿كان من عند الله وكفرتكم
به﴾ (7) ونظيره قولك: إن أحسنت إليك وأسأت وأقبلت عليك
وأعرضت عني لم تتفق في أنك أخذت ضميمتين فعطفتهما
على مثلثهما والمعنى قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من
عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على

(7) سورة الأحقاف، الآية: 10.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: (51) (الحديث رقم: 3938).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: مناقب عبد الله بن سلام (الحديث رقم: 3812)، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه (الحديث رقم: 147. 2483).

(3) رواه ابن أبي شيبة في كتاب: المفرد، في فضائل القرآن، زيلعي 281/3، راجع بدون حاشية.

(4) سورة الشعراء، الآية: 196.

(5) قال أحمد: إنما لم يوجه المعطوف إلى جهة واحدة؛ لأنّ التفصيل قد يكون عطف مجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما، والآية من هذا النمط ومثلها قوله تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور﴾ وقوله: ﴿إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ الآية وقد تقدّم تقرير ذلك في الآيتين فجدد به هدأ.

(6) سورة الأعلى، الآية: 18.

(8) قال أحمد: إن لم يكن مانع من عمل فسيقولون في الظرف، إلا تنافي دلالاتي المضى والاستقبال، فهذا غير مانع، فإن الاستقبال ههنا إنما خرج مخرج الإشعار بنوام وقع ومضى؛ لأن القوم قد حرموا الهداية، وقالوا: هذا إفاك قديم وأساطير الأولين، وغير ذلك، فمعنى الآية إن: وقالوا إذا لم يهتدوا به هذا إفاك قديم وداموا على ذلك، وأصروا عليه، فعبّر عن وقوعه، ثم نواه بصيغة الاستقبال، كما قال إبراهيم: إلا الذي فطرني، فإنه سيهدين، وقد كانت الهداية واقعة وماضية، ولكن أخبر عن وقوعها ثم داومها، فعبّر بصيغة الاستقبال، وهذا طريق الجمع بين قوله: سيهدين، وقوله في الأخرى: فهو يهدين، ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذي نكرته هو الوجه، ولكن الفاء المسببة نلت بدخولها على محذوف هو السبب، وقطعت الفعل عن الظرف المتقدم، فوجب تقدير المحذوف عاملاً فيه لينتظم بتقدير عاملاً، أمران مصادفة الظرف للعامل والفعل المعمل لعلته، فتعني ما نكره الزمخشري لأجل الفاء لا لتنافي الدلالتين والله أعلم.

وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته، وقرئ حتى إذا استوى وبلغ أشده وبلوغ الأشد أن يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله، وتمييزه وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعين، وقيل لم يبعث نبي قط إلا بعد أربعين سنة. والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليها نعمة عليه، وقيل في العمل المرضي: هو الصلوات الخمس.

فإن قُلْتَ: ما معنى في قوله: ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ قُلْتَ: معناه أن يجعل ذريته⁽²⁾ موقفاً للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه، يجرح في عراقبيها نصلي ﴿من المسلمين﴾ من المخلصين.

أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَّبَعُ عَنَّمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّادِقُ كَذِبًا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧﴾.

وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء الضمير فيهما والله عز وجل وقرئ بالتون.

فإن قُلْتَ: ما معنى قوله: ﴿في أصحاب الجنة﴾ قُلْتَ: هو نحو قولك أكرمني الأمير في ناس من أصحابه تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمي في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كاشنين من أصحاب الجنة، ومعديين فيهم ﴿وعد الصديق﴾ مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل، والتجاوز، وقيل: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمّه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأَنْصَارِ أسلم هو ووالده وبنوه وبناته غير أبي بكر.

وَأُولَئِكَ قَالَ لَوْلِيَدِي أَبِي لَكُمَا أَمْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ حَلَبَ أَنْفَرُونَ مِنْ بَنِي وَهْمًا يَسْتَعِينَانِ اللَّهُ وَبِكَ آمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾.

﴿والذي قال لوالديه﴾ مبتداً خبره أولئك الذين حق عليهم القول، والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعاً وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه، وقيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر⁽³⁾ قبل إسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمّه أم رومان

وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مَوْصِيَّ إِمَامًا وَرَحِمَهُ وَهَذَا كَتَبْتُ مَوْصِيَّ لِسَانًا عَرَبِيًّا يُشَدِّدُ الَّذِينَ طَلَمُوا وَيُشْرِي لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَكْبَرُوا فَلَا حَاقَّ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾.

﴿كتاب موسى﴾ مبتداً ومن قبله ظرف واقع خبراً مقدماً عليه وهو ناصب ﴿إماماً﴾ على الحال كقولك في الدار زيد قائماً، وقرئ: ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى إماماً قنوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام ﴿ورحمته﴾ لمن آمن به وعمل بما فيه ﴿وهذا﴾ القرآن ﴿كتاب مصدق﴾ لكتاب موسى، أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ: مصدقاً لما بين يديه ﴿ولساناً عربياً﴾ حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة⁽¹⁾ ويعمل فيه معنى الإشارة، وجوز أن يكون مفعولاً لمصدق أي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول، وقرئ: ولينذر بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر إذا حذر ﴿وبشري﴾ في محل النصب معطوف على محل لينذر لأنه مفعول له.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَصَلَتْهُ لثَمُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٧﴾.

قرئ: حسناً بضم الحاء وسكون السين وبضمهما ويفتحهما وإحساناً وكرهاً بالفتح والضم وهما لغتان في معنى: المشقة كالفقر والعقر وانتصابه على الحال أي ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أي حملاً ذا كره ﴿وحمله وفصاله﴾ ومدة حملة وفصاله ﴿ثلاثون شهراً﴾ وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر، وقرئ: وفصله والفصل والفصال كالفظم والفظام بناء ومعنى.

فإن قُلْتَ: المراد ببيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال؟ قُلْتَ: لما كان الرضاع يليه الفصال ويلاسه لأنه ينتهي به ويتم سمي فصلاً كما سمي المدة بالأمد من قال:

كل حي مستكمل مدة العمد رومود إذا انتهت أمده

(1) قال أحمد: وجهان حسنان أعزهما بثالث، وهو النصب على الاختصاص، وهذه الوجوه في قوله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا﴾ والله أعلم.

(2) قال أحمد: ومثله قوله تعالى: ﴿إلا المودة في القربى﴾ عدولاً عن قوله: إلا مودة القربى، أو المودة للقربى، والله أعلم.

(3) قال أحمد: ونحن نختر أن المراد الجنس لا عبد الرحمن بن أبي

= بكر، ولكننا لا نختر الرد على قائل ذلك بهذا الوجه، فإن له أن يقول أراد عبد الرحمن وأمته، ومثل ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب زليخا: ﴿إنه من كيبك إن كيبك عظيم﴾ فخاطبها وخاطب أمتها والمقصودة هي، وقد عاز إلى خطابها خصوصاً بقوله: ﴿واستغفري لذنك إنك كنت من الخاطئين﴾ ولكن وجه الرد على من زعم أن المراد عبد الرحمن ما ذكره الزمخشري =

فإن قُلْتُمْ: كيف قيل درجات، وقد جاء الجنة درجات والنار دركات؟ قُلْتُمْ: يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتغال كل على الفريقين ﴿وليوفيههم﴾، وقرئ بالنون تحليل معمله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيههم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم، فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ناصب الطرف هو القول المضمرة قبل.

وَيَوْمَ يُرْمَى الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَمْهَلُمْ يُطَبِّقُونَ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَنْتَمُّ بِهَا فَأَلْوِمُ جُزُونَ عَذَابَ الْهُورِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَقْسِمُونَ ﴿١٤﴾.

﴿أذهبتهم﴾ وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف (2) إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها﴾، ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوها، ويدل عليها تفسير ابن عباس رضي الله عنه بجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها ﴿أذهبتهم طيباتكم﴾ أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبت به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصاب وكراكر وأسمنة، ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال: ﴿أذهبتهم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ (3) وعنه: لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وأحسنكم لباساً ولكني استبقي طيباتي (4) وعن رسول الله ﷺ أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعاً فقال: «أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة، ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراج عليه بأخرى ويستر بينه كما تستر الكعبة» قالوا: نحن يومئذ خير قال: بل أنتم اليوم خير (5)، وقرئ: أذهبتهم بهمزة الاستفهام وأذهبتهم بالفتح بين همزتين. الهون والهوان، وقرئ: عذاب الهوان، وقرئ: يفسقون بضم السين وكسرهما الأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من حقوق الشيء إذا

إلى الإسلام فأفف بهما، وقال: ابعثوا إلى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهدوا لبطانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه، وحين كتب معاوية إلى مروان بن يبياع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية تبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه: أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت: والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أبك وأنت في صلبه فانت فضض من لعنة الله (1) وقرئ: أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحرركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم منه أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التافيف لكما خاصة ولأنكما نون غيركما، وقرئ: أتعادني بنونين وأتعادني بأحدهما وأتعادني بالإدغام وقد قرأ بعضهم أتعادني بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحريماً للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن أطرأ أحدهما ﴿أن أخرج﴾ أن أبعث وأخرج من الأرض، وقرئ: أخرج ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ يعني ولم يبعث منهم أحد ﴿يستغيثان الله﴾ يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ﴿ويلك﴾ دعاء عليه بالثبور والمراد به الحد والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك.

أُوذِيَكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ نَدَّ حَلَّتْ مِن قَلْبِهِم مِّنَ الْإِيمَانِ وَالْإِنسَانُ لَهُمْ كَأْوَابٌ خَيْرِينَ ﴿١٥﴾.

﴿في أمم﴾ نحو قوله في أصحاب الجنة، وقرئ: أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق.

وَلِكُلِّ دِينٍ سُنَّةٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَرِوَيْتُمْ أَخْبَأْتُمْ لَهُمْ لَّا يظلمون ﴿١٦﴾.

﴿ولكل﴾ من الجنسين المذكورين ﴿درجات مما عملوا﴾ أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير أو الشر ومن أجل ما عملوا منها.

= قال لوالديه أف لكما... (الحديث رقم: 4827).

(2) قال احمد: إن كان قولهم عرضت الناقة على الحوض مقولاً فليس قوله: يعرض الذين كفروا على النار مقولاً؛ لأنه الملجئ؛ ثم إلى اعتقاد القلب أن الحوض جماد لا إدراك له، والناقة هي المدركة فهي التي يعرض عليها الحوض حقيقة، وأما النار فقد وردت النصوص بانها حينئذ مدركة إدراك الحيوانات، بل إدراك أولى العلم، فالامر في الآية على ظاهره، كقولك: عرضت الأسرى على الأمير، والله أعلم.

(3) ذكره ابن المبارك في الزهد، وأحمد بن حنبل في الزهد، وأبو عبيدة في غريب، الزبلي 283/3.

(4) رواه أبو نعيم في ترجمة عمر.

(5) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة، والرقائق والورع، باب:

(35) (الحديث رقم: 2476).

= ثانياً، فقال: إن الذين حق عليهم القول هم المخلدون في النار في علم الله تعالى؛ وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم، ونقل أن معاوية كتب إلى مروان: بأن يبايع الناس ليزيد، فقال عبد الرحمن: لقد جئتم بها هرقلية تبايعون لابنائكم، فقال مروان: أيها الناس إن هذا هو الذي قال الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه﴾ الآية فسمعت عائشة فغضبت، وقالت: والله ما هو به ولو شئت أن أسميه سميته، ولكن الله لعن أبك، وأنت في صلبه، فانت فضض من لعنة الله هـ كلامه. قلت: وفي هذه الآية رد على من زعم أن المفرد الجنسي لا يعم؛ لأنه لا يعامل معاملة الجمع لا في الصفة، ولا في الخبر، فلا يجوز أن تقول الدينار الصفر خير من الدرهم البيض، وهذا مردود بأن خبر الذي الواقع جنساً جاء على نعت خبر المجموع، كما رأيت، والله أعلم.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، سورة الأحقاف، باب: «الذي» =

﴿فلما راوه﴾ في الضمير وجهان أن يرجع إلى تعدنا وأن يكون مبهمًا قد وضح أمره بقوله ﴿عارضاً﴾ إما تمييزاً وإما حالاً وهذا الوجه أعرب وافصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ومثله الحبي والعنان من حباً وعن إذا عرض وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفاً للكرة ﴿بل هو﴾ القول قبله مضمرة والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو، وقرئ: قل بل ما استعجلتم به هي ريح.

تُدِيرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبِرْ لَا يَبْرَأُ إِلَّا مَسْكَنُكُمْ كَذَلِكَ يَجْرِي الْقَوْمَ الْمَجْرَبِينَ ﴿٦٥﴾.

أي قال الله تعالى: قل ﴿تدمر كل شيء﴾ تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجرم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية، وقرئ: يدمر كل شيء من دمر مازماً إذا هلك ﴿لا ترى﴾ الخطاب للرائي من كان وقرئ: ﴿لا يرى﴾ على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن رضي الله عنه لا ترى بقايا ولا أشياء منهم إلا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وليست بالقوية، وقرئ: الا ترى إلا مساكنهم ولا يرى إلا مساكنهم. وروي أن الريح كانت تحمل الفسفاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جراد، وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت: رأيت ريحاً فيها كمشهب النار. وروي أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم، ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتلمتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هوداً لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطأ إلى جنب عين تنبع، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفوس وأنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض، وتدمغهم بالحجارة وعن النبي ﷺ أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له: يا رسول الله ما تخاف، فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطر⁽¹⁾.

فإن قلت: ما فائدة إضافة الرب إلى الريح؟ قلت: الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه، وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة

أعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن، وقيل بين عمان ومهرة.

﴿وَأَذَكَّرْنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَابِ وَوَدَّ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنَ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَادًا يَوْمَ عَظِيمٍ﴾.

و﴿الذنر﴾ جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار ﴿من بين يديه﴾ من قبله ﴿ومن خلفه﴾ ومن بعده وقرئ: من بين يديه ومن بعده، والمعنى: أن هوداً عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم: لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه يعني الرسل الذين بعثوا قبله، والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه ولك أن تجعل قوله تعالى: ﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ اعتراضاً بين أنذر قومه وبين ﴿ألا تعبدوا﴾ ويكون المعنى وأنذر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم، وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فأنذر.

قَالُوا أَجِئْنَا بِتَأْوِيلِكَا عَن ءَالِهَتِنَا فَأَيْنَا يَا تَوَدَّ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٦﴾.

الإفك الصرف: يقال أفكه عن رايه ﴿عن آلهتنا﴾ عن عبادتنا ﴿بما تعدنا﴾ من معالجة العذاب على الشرك ﴿إن كنت﴾ صادقاً في وعدك.

قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمَا مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، وَلَكِنْ أَرَادَكُمْ قَوْمًا جَاهِلُونَ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْبَانِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَّرٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٨﴾.

فإن قلت: من أين طابق قوله تعالى: ﴿إنما العلم عند الله﴾ جواباً لقولهم فأتنا بما تعدنا؟ قلت: من حيث أن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ فقال لهم: لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعنيكم حكمة وصواباً إنما علم ذلك عند الله، فكيف ادعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى ﴿وأبليغكم ما أرسلت به﴾ وقرئ: بالتخفيف أن الذي هو شائي وشرطي أن أبليغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي، ولكنكم جاهلون ولا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أنزل لهم فيه.

= والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول إذا عصفت الريح، (الحديث رقم: 946).

(1) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: التوعد عند رؤية الريح والغيم.. (الحديث رقم: 15 - 899)، والترمذي في كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا هاجت الريح، (الحديث رقم: 3449)، =

من جهته عز وجل يعضد ذلك ويقويه.

وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَرَمَّانَا لَهُمْ سَمًا وَأَصْرًا
وَأَوْدَعْنَا فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمُهُمْ وَلَا أَصْرُهُمْ وَلَا أَقْوَدَهُمْ مِنْ شَوْءٍ إِذْ
كَانُوا يَصْحُرُونَ بَاتَتْ اللَّهُ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧﴾

﴿إِنْ﴾ نافية أي فيما ما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما فيه مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الأصل في مهما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد اغث أبو الطيب في قوله:

لعمرك ما ما بان منك لضارب

وما ضره لو اقتدى بعنوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما إن بان منك لضارب وقد جعلت إن صلة مثلها فيما أنشده الاخفش:

يرجى المرء ما إن لا يراه

وتعرض نون أدناه الخطوب. وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن اثناً ورثياً كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأكثراً وهو أبلغ في التوبيخ، وأدخل في الحث على الاعتبار ﴿من شيء﴾ أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه.

فإن قُلْتُ: بم انتصب ﴿إذ كانوا يجحدون﴾ قُلْتُ: بقوله تعالى: فما أغنى.

فإن قُلْتُ: لم جرى مجرى التعليل؟ قُلْتُ: لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإسأته وضربته إذا أساء لأنك إذا ضربته في وقت إسأته فإنما ضربته فيه لوجود إسأته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا بون سائر الظروف في ذلك.

وَأَمَّا أَهْلَكَا مَا حَوْلَكَ مِنَ الْقُرَى وَرَمَّانَا أَلَيْتَ لَعَلَّهُمْ يَرْجُونَ ﴿١٧﴾

﴿ما حولكم﴾ يا أهل مكة ﴿من القرى﴾ من نحو حجر ثمود، وقرية سدوم وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال ﴿لعلهم يرجعون﴾.

فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةٍ بَلَّ سُلُوكُهُمْ وَعَنْهُمْ ذَلِكُمُ الْمَقْصِدُ وَمَا كَانُوا يَفْرَهُونَ ﴿١٨﴾

القربان ما تقرب به إلى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقرباً بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذ الرجوع إلى الذين المحذوف⁽¹⁾ والثاني إلهة وقرباناً حال، ولا يصح أن يكون قرباناً مفعولاً ثانياً وألله بدلاً منه لفساد المعنى، وقرى: قرباناً بضم الراء والمعنى فهنا منعهم من الهلاك آلهتهم ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أي غابوا عن نصرتهم ﴿ونلك﴾ إشارة إلى امتناع نصره آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة، وثمرة شركهم وافتراءهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرى: إفكهم والإفك والإفك كالحذر والحذر، وقرى: وذلك إفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق، وقرى: إفكهم على التشديد للمبالغة وأفكهم جعلهم أفكين وأفكهم أي قولهم الأفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصُرْهُ قَلْبًا فَغِيَّيْنَا لَهُمُ الْقُلُوبَ وَالنُّفُوسَ لَمَّا أَتَوْا بِنُوحًا وَإِنَّا لَنَسِيمًا كَتَبْنَا نُزُلًا مِّنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَّا طَرِيقًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾

﴿صرفنا إليك نفرًا﴾ أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك، وقرى: صرفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر بون العشرة ويجمع أنفراً وفي حديث أبي نر رضي الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفاراننا⁽²⁾ ﴿فلما حضروه﴾ الضمير ﴿للقرآن﴾ أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله ﷺ، وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها.

﴿قالوا﴾ قال بعضهم لبعض ﴿انصتوا﴾ اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له روي أن الجن كانت تسترق السمع، فلما حرس السماء ورجعوا بالشهب قالوا: ما هذا إلا لنبا حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من اشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة، ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافقوا رسول الله ﷺ وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم، فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف⁽³⁾ وعن سعيد بن جبیر

(1) المفعول الثاني لا غير.

(2) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي نر (الحديث رقم: 132 - 2473).

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان باب: الجهر بقراءة صلاة الفجر (الحديث رقم: 773)، ومسلم في كتاب: الصلاة، باب: الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (الحديث رقم: 149 - 449)، والحاكم في المستدرک: 2/456.

(1) قال أحمد: لم يبين وجه فساد المعنى على هذا الإعراب، ونحن بينه فنقول: لو كان قرباناً مفعولاً ثانياً، ومعناه: متقرباً بهم لصار المعنى إلى أنهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقرباً به: لأن السيد إذا وبخ عبده، وقال: اتخذت فلاناً سيداً دوني، فإنما معناه: اللوم على نسبة السيادة إلى غيره، وليس هذا المقصد، فإن الله تعالى يتقرب إليه ولا يتقرب به لغيره، فإنما وقع التوبيخ على نسبة الإلهية إلى غير الله تعالى، فكان حق الكلام أن يكون آلهة هو =

يَعْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَةَ بَلَى إِنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٢﴾.

﴿بقادر﴾ محله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قاردا وإنما دخلت الباء لاشتغال النفي في أول الآية على أن وما في حيزها، وقال الزجاج: لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل ليس الله بقادر إلا ترى إلى وقوع بل مقدرّة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم، وقرئ: يقدر ويقال عيبت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أعيينا بالخلق الأول.

وَيَوْمَ يُرْسُ الْأَيْدِينَ كُرُّوا عَلَى النَّارِ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى رَرَيْنا قَالَ قَدَرُوا مَكْذَابَ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٣﴾.

﴿اليس هذا بالحق﴾ محكي بعد قول مضمهر وهذا المضمهر هو ناصب الظرف وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله تعالى: ﴿فذوقوا العذاب﴾ والمعنى: التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين.

فَأَسِيرَ كَمَا صَرَ أَوْلُوا الْأَمْرَ مِنَ الْأُسْلِ وَلَا سَتَجِيلَ لَمْ كَانْتُمْ بِيَوْمَ بَرَزْتُمْ مَا بُرُودَتْ لَرِّ بَلْبُرًا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغَ فَعَلَ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٤﴾.

﴿أولوا العزم﴾ أولو الجد والثبات والصبر و ﴿من﴾ يجوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار ونوح ولده، وإسحاق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهب بصره ويوسف على الحب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه: إنا لمدركون قال: كلا إن معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة، وعيسى لم يضع لينة على لينة وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى: في آدم ولم نجد له عزماً وفي يونس، ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم ﴿ولا تستعجل﴾ لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر وإنهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ﴿ساعة من نهار بلاغ﴾ أي هذا الذي وعظمت به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام ﴿فهل يهلك﴾ إلا الخارجون عن الاتعاض به والعمل بموجبه، ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك، وقرئ: ﴿بلاغاً﴾ أي بلغوا بلاغاً وقرئ: يهلك بفتح الباء وكسر

رضي الله عنه ما قرأ رسول الله ﷺ عن الجن ولا رأيهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به، فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم⁽¹⁾ وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرًا منهم جمعهم له فقال: إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثاً فاطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطاً وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك، ثم افتتح القرآن وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على رسول الله ﷺ وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله ﷺ هل رأيت شيئاً قلت نعم رجالاً سوداً مستثفري ثياب بيض، فقال: أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفاً والسورة التي قراها عليهم اقرأ باسم ربك⁽²⁾.

فإن قلت: كيف قالوا من ﴿بعد موسى﴾؟ قلت: عن عطاء رضي الله عنه أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت: من بعد موسى.

يَقَوْمًا آيِبُوا دَائِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ بَغَيْرِ لَكُمْ مِّنْ دُونِكُمْ وَيُحِزُّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣٥﴾.

فإن قلت: لم بعض في قوله: ﴿من نؤيبكم﴾ قلت: لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم⁽³⁾ ونحوها ونحوه قوله عز وجل: ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم﴾⁽⁴⁾.

فإن قلت: هل للجن ثواب كما للإنس؟ قلت: اختلف فيه فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لقوله تعالى: ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ وإليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله، والصحيح أنهم في حكم بني آدم لأنهم مكلفون مثلهم.

وَمَنْ لَا يُجِبْ دَائِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِّنْ دُونِهِ أُورِيَّةٌ أُولَئِكَ فِي سَلَاقٍ مُّبِينٍ ﴿٣٦﴾.

﴿فليس بمعجز في الأرض﴾ أي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى: ﴿وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً﴾⁽⁵⁾.

أَوْلَىٰ بَرًّا أَنْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ

(1) راجع الحديث: 403.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک 2/503.

(3) قال أحمد: ليس ما أطلقه من أن الإيمان لا يغفر المظالم بصحيح؛ لأنّ الحربي لو نهب الأموال المصونة وسفك الدماء المحقونة، ثم حسن إسلامه جب الإسلام عنه إثم ما تقدم بلا إشكال، ويقال: إنه ما وعد المغفرة الكافر على تقدير الإيمان في كتاب الله تعالى، إلا =

= مبعضة وهذا منه، فإن لم يكن لاطراده بذلك سر فما هو إلا أن مقام الكافر قبض لا بسط، لذلك لم يبسط رجاءه في مغفرة جملة الذنوب، وقد ورد في حق المؤمنین مثله كثيراً، والله أعلم.

(4) سورة نوح، الآية: 3 - 4.

(5) سورة الأحقاف، الآية: 34.

﴿واصلح بالهم﴾ أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد.

ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا أَبْتَطَلُ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا لِقَاءَ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٤﴾.

﴿نلك﴾ مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين، وتكفير سيئات الثاني بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كما نكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوباً على هذا ومرفوعاً على الأوّل و﴿الباطل﴾ ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان، وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير ﴿كنلك﴾ مثل ذلك الضرب ﴿يضرب الله للناس أمثالهم﴾ والضمير راجع إلى الناس أو إلى المنكوبين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم.

فإن قُلْتُ: أي ضرب الأمثال؟ قُلْتُ: في أن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين، أو في أن جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين.

إِذَا لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرَبَ الرَّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا انْتَهَمُوا فَتَدَاؤُا الرِّقَابِ إِنَّمَا مَأْبَدٌ وَإِنَّمَا فِتْنَةٌ حَتَّىٰ نَصَحَ الْقَرْبَىٰ أَرْزَأَمًا ذَلِكَ وَكَوَيْتَهُ اللَّهُ لَأَنْصَرَ بَيْنَهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْ قَتَلَهُمْ أَغْلَتُمْ سَبِيحِينَمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمِ ﴿٥﴾.

﴿لقيتهم﴾ من اللقاء وهو الحرب ﴿فضرب الرقاب﴾ أصله فاضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل، وقدم المصدر فأناب منابه مضافاً إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التي فيه، وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة بون غيرها من الأعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الأمير رقبة فلان، وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبة فوقع عبارة عن القتل، وإن ضرب بغير رقبة من المقاتل كما نكرنا في قوله: بما كسبت أيديكم على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حن العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه، وأوجه أعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله

اللام وفتحها من هلك وهلك بالنون إلا القوم الفاسقين عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا»⁽¹⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة محمد ﷺ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَوَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَلَهُمْ ﴿١﴾.

وصدوا وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس: رضي الله عنه: هم المطمعون يوم بدر وعن مقاتل: كانوا اثني عشر رجلاً من أهل الشرك يصدون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل: هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم، ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام وقيل: هو عام في كل من كفر وصد ﴿أضل أعمالهم﴾ أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل⁽²⁾ التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها، ويعتني بأمرها أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم ومغلوبة بها كما يضل الماء في اللبدين وأعمالهم ما علموه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الأرحام، وفك الأسارى، وقرى الأضياف، وحفظ الجوار وقيل: أبطل ما علموه من الكيد لرسول الله ﷺ والصد عن سبيل الله بأن نصره عليه وأظهر دينه على الدين كله.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾.

﴿والذين آمنوا﴾ قال مقاتل هم ناس من قريش، وقيل: من الأنصار، وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام وقوله: ﴿وآمَنوا بما نزل على محمد﴾ اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله ﷺ من بين ما يجب به الإيمان تعظيماً لشأنه وتعليماً لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله: ﴿وهو الحق من ربهم﴾، وقيل معناها أن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرى نزل وأنزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ ستر بآياناتهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم

(1) ذكره الثعلبي، والواحدي، وابن مردويه في التفسير، الزيلعي 3/ 291.

(2) قال أحمد: هذا المعنى الثاني حسن متمكن مليء بمقابلة قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ثم قال: ﴿كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ وتحرير المقابلة بينهما أن الكفار ضلّت أعمالهم الصالحة في جملة أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصي، حتى =

= صار صالحهم مستهلكاً في غمار سيئهم، ومقابلة في المؤمنين ستر الله لأعمالهم السيئة في كنف أعمالهم الصالحة من الإيمان والطاعة، حتى صار سيئهم مكفراً محققاً في جنب صالح أعمالهم، وإلى هذا التمثيل الحسن في عدم تقبل صالح الكفار والتجاوز عن سيئه أعمال المؤمنين وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿كنلك﴾ يضرب الله للناس أمثالهم، والله أعلم.